الدّولــة الإسـلاميــة ظاهــرةً حديثــة

نوربرت روس و أحمد موهامدبور
ترجمة: هيئة التحرير

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018
All rights reserved © 2018

الدّولة الإسلامية ظاهرةً حديثة[1]

نوربرت روس و **أحمد موهامدبور**

ترجمة: **هيئة التحرير**

1 Norbert O. Ross and Ahmad Mohammadpur, "Islamic State as a Modern Phenomenon", *Journal of Global Faultlines*, Vol. 3, No. 1 (March 2016), pp. 36-39

خلال الأشهر العديدة الماضية، استولت الدّولة الإسلامية أو الدولة الإسلامية العراقية والسورية/بلاد الشام (داعش) على خيال كثير من الناس، وأحدثت ضجة سياسية سواء في الغرب أو في جميع أنحاء الشّرق الأوسط. وباستيلائها على مناطق كبيرة في سوريا واجتياحها لأجزاء من العراق، لا تزال داعش توضح بشكل مؤلم هشاشة هذه المنطقة، ما يدعو إلى مزيد من التساؤلات حول نوايا السياسات الدولية ونتائجها، وعلى وجه التحديد المحاولات الأمريكية في بناء الدولة العراقية.

تكشف عمليات ضرب الأعناق المنظمة، التي يتم تصويرها بالفيديو ونشرها على موقع اليوتيوب، عن تطرف أتباع البغدادي في نشر رسالتهم.. وتقوم الهجمات الأخيرة في باريس بدورها (على الرغم من ارتباطها غير المباشر بداعش)، مثيرة أسئلة حول أفضل طريقة للردّ على هذه الأنشطة الإرهابية ومواجهتها- وقد دعا الكثيرون إلى اتباع نهج إرسال الفرق العسكرية إلى عين المكان، وإن كان هذا لا يبدو واضحا أحيانا كثيرة... ومن الواضح أن بقاء بعض الأماكن مثل الموصل وكوباني على المدى القصير اعتمد على المقاتلين الأكراد والضربات الجوية الأمريكية وكذلك الميليشيات الإيرانية. كما أنها أدت إلى ظهور شركاء غرباء! مع ذلك، يُعرف القليل عن ظهور داعش؛ ومن ثم، فإن الطرق المحتملة لمقاومة انتشار هذه الشبكة الإرهابية لا تزال غامضة إلى حدّ ما.

غالبا ما يُستشهد بالتقاء عاملين اثنين أديا إلى ظهور مجموعة من وحي القاعدة: الحرب الأمريكية في العراق وأثرها، فضلا عن التمرد ضد نظام الأسد الوحشي في سوريا. وفي العراق، رافق الإبعاد المتزايد للسنيين تحرر البلدان من نظام صدام حسين الدكتاتوري (وهو نظام سنّي على العموم). وخلال جهود إعادة الإعمار وبناء الدّولة، مع ذلك، لم تفهم الولايات المتحدة ولا الحكومة العراقية المستقلة اللاحقة الحاجة إلى ضم السنة أو أعضاء البعث السابقين إلى الشؤون الحكومية الجديدة. وقد أدى ذلك إلى زيادة الاستقطاب بين أتباع الطائفتين الإسلاميتين (السنة والشيعة).[11] من ناحية أخرى، تشهد سوريا حربا أهلية منذ عام 2011، إذ تقاتلت القوى المناهضة للأسد مرارا وتكرارا ضد بعضها البعض، مندمجة في تحالفات جديدة. وفي ظل فوضى الحرب الأهلية، كان من السهل على أعضاء البعث السنيين والعراقيين السابقين اللّجوء إلى سوريا. ونظرا لخبراتهم المشتركة-المضطهدة من قبل الشيعة والحكومة الخصم-فليس غريبا أن العديد منهم تحالفوا مع قوات تقاتل نظام الأسد، ويستخدمون سوريا ملاذا آمنا يطلقون منه هجمات في العراق. وقد ساعد على ذلك علاقات عبر الحدود طويلة المدى، فضلا عن حدود يسهل اختراقها بشكل متزايد بسبب إضعاف الحكومة العراقية.

1 من المهم أن نلاحظ بأنه بينما يبدو الصّراع بداية حول الطائفية الدينية (السنة في مواجهة الشيعة) ولكنه في الواقع صراع حول المجموعات الاجتماعية والسلطة، وليس انشقاقا بخصوص المحتوى الديني.

ولا نعرف إلا القليل عن خصائص هذين التيارين اللذين أدّيا إلى ظهور هذه الجماعة المنظمة نوعا ما، لأن هيكلها التنظيمي لا يزال غير واضح، من حيث الدقة، والوصول، والسيطرة نظرا لميلها إلى المبالغة لأسباب مختلفة من قبل أعدائها ومؤيديها على حد سواء. هل العمليات المختلفة (التي تنفذ في أماكن مختلفة) تنسقها قيادة مركزية؟ أم أنها أفعال مجموعة من الأتباع القياديين غير ممركزة تشتغل بشكل حرّ؟ وهل تم دمج الأيديولوجيات المختلفة في هدف شامل؟ يبدو أن ظروف ظهور داعش[22] تشير إلى هذا التساؤل الأخير، وبالتالي قد يبدو أننا نبالغ في تقدير قوة القيادة المركزية. ويؤيد هذا التخمين أيضا حقيقة أن لداعش على الأقل مركزي نشاط مستقلين.

في كلتا الحالتين، لا نقول بأننا نبالغ في تقدير قوة هذه الجماعة، بما أنه في الواقع قد تكون هذه الروابط الفضفاضة هي التي تضفي على الجماعة قوة غير مسبوقة (هذا بالإضافة إلى مبالغ التمويل الهائلة. ومع ذلك، فإن السؤال الذي نطرحه يختلف ونحن - نركز على الظروف التي يمكن أن تنشأ فيها داعش وتستقطب الدعم. وامتدادا لذلك نحن لا نسأل فقط ما المطلوب للتصدي لداعش، وإنما، بالأهمية نفسها-كيف يمكننا أن نمنع ظهور جماعات مشابهة تنشأ من رماد داعش.

الخوف من الإسلام

من الواضح الآن، أن استحوذت على مخيلتنا باعتبارها جماعة إسلامية إرهابية جوهرية، معوضة إلى حد ما القاعدة قلقَنا وعدوَّنا الرئيس. وبوصفها غالبا بالجماعات الجهادية التي تسعى إلى استرداد الأمجاد المفقودة للإسلام المتألق، تسرع وسائل الإعلام في إضافة أنها مؤيدة من قبل المرتزقة والمجرمين، مستعملة أحيانا حتى المخدرات لإقناع المنخرطين الجدد بشن هجمات انتحارية[33]، وطبعا يمكن العثور على الادعاءات نفسها في مجموعات مختلفة كحزب العمال الكردستاني في تركيا، ومجموعة زاباتيستا المكسيكية، وتنظيم كولومبيا الثوري المسلح. ولا نملك معلومات لمناقشة هذه الادعاءات ولا نقصد ذلك. ومع ذلك، فإن هذه التشابهات تفترض التساؤل حول ما إذا قامت كل هذه المجموعات باختيارات سياسية وإيديولوجية واقتصادية مشابهة أو أننا نرى استراتيجيات مشابهة توظف من قبل خصومها لتشويه سمعتها. مرة أخرى، لا نقصد الدفاع عن داعش، ولكن نخشى أن يكون اعتبارنا لهذه المجموعات بأنها «عصابات» انفعاليا لا ينصف الواقع، ولا يساعدنا على فهمها ومحاربتها.

2 نحن نتبع المقترحات الحالية بعدم تسميتها بالدولة الإسلامية، لأن هذا يفترض ضمنا وجود دولة، وبالنظر إلى نقاشنا، من الواضح أننا لا نعتبر داعش دولة.

3 Pipes, D. (2013), "Explaining the Denial: Denying Islam's Role in Terror," *Middle East Quarterly*, 20, 3-12.

بينما شهد العالم أفعالا إرهابية من قبل، قد تبرز داعش في كيفية استخدامها للعنف الشديد لبث أفكارها وأيديولوجيتها، كما يتضح من مشاهد قطع الرؤوس. ولشرح هذا السلوك نقب الباحثون في القرآن لتحديد أسباب هذه الأفعال، باحثين أساسا عن فقرات (وقد عثروا عليها) غالبا ما تستشهد بها داعش وتؤولها لتبرير أفعالها. مع ذلك، فمن وجهة نظر أنثروبولوجية، فإن مثل هذا الجهد في التفسير عقيم. أولاً، وبالضبط كما في الإنجيل، لا يقدم القرآن وصفات محددة في السلوك تغطي جميع المواقف المحددة، وحتى عندما يفعل ذلك فهو لا يوضح تماما ما إذا كان يجب استعمال هذه الوصفات حرفيا أم لا. بصيغة أخرى، مختلف الأشخاص يقرؤون القرآن (أو الإنجيل) بشكل مختلف، وبالتالي فليست الكلمة المكتوبة فعلا هي التي يجب أن نفهم وإنما تأويلاتها. وهذا يتركنا إما مع اضطرابات عقلية أو الأهم مع ظروف اجتماعية ثقافية معينة تؤدي ببعض الأفراد إلى جلب نوع من القراءة للقرآن. ويجب أن نسأل لماذا من المحتمل أن يتفق أفراد معينون مع القرآن، ويسمعون لبعض تأويلاته؟ ثانياً، عادة ما تعامل مشاهد قطع الرؤوس على أنها أفعال بسيطة (مضللة) وإرهاب عنيف، فهي بالفعل كذلك. ولكن يجب أن نسأل عن الهدف وراء عرض ضرب الأعناق في الإنترنت. ويبدو أنه من غير المرجح أن يكون الهدف هو الحصول على دعم مباشر، وعوضا عن إحداث تعاطف، فالعكس هو الصحيح: فهم يثيرون الغضب والاشمئزاز. فلماذا إذن تستمر داعش في نشر مثل هذه الأحداث؟ نعتقد أن هناك سببين. الأول: أنه على المستوى الإقليمي تساعد أشرطة الفيديو هذه على نشر الخوف في الشرق الأوسط، وبالتالي قد تحد من المقاومة المحلية لتقدم داعش؛ الثاني: على المستوى الدولي، فإن هذا الإحساس بالغضب والاشمئزاز الذي تنتجه أشرطة الفيديو هذه تضع ضغطاً على الدول كالولايات المتحدة للتدخل، ومن ثم فرض مواجهة مباشرة مع القوى الغربية. نجح هذا بشكل كبير، إذ احتج الناس وأعادوا نشر مقاطع الفيديو في جميع أنحاء العالم. مع ذلك، فإن توسيع الصراع الذي تشهد فيه داعش (التي ترى نفسها الآن دولة إسلامية) حرباً ضد القوى العظمى (الولايات المتحدة) يُذكِّر بالطبع بغزوات الولايات المتحدة، ولكن أيضاً يردد صدى قرون سابقة من الاستعمار الغربي والحكم بالوصاية. وهذا بدوره يستحضر، مرة أخرى، صورة الإسلام تحت الحصار، مُحدِثا أتباعا محتملين حول العالم. فنجح الأمر!

على سبيل المثال، يبدو أن الجناة الرئيسيين في هجمات باريس، دخلوا الإسلام متأخرين نوعا ما، وصادفوا قراءات أكثر عنفاً للقرآن في السجن. لماذا، ترددت هذه القراءات العنيفة– التي تعلن الدفاع عن الإسلام-في هؤلاء الأفراد؟ ولكن القرآن لا يدعو لقتل الناس الذين يرسمون صورا كاريكاتورية عن النبي. إن فهم المجتمع المسلم في فرنسا، فضلاً عما يتعلق به من عنصرية وخوف في أجزاء أخرى من القارة الأوروبية، يمكن أن تساعدنا في فهم الوضع العام. ليس فقط أن فرنسا لديها تاريخ سلبي طويل في الشرق

الأوسط (وخاصة في سوريا)، ولكن ما هو مفيد أكثر هو أن المسلمين اليوم يواجهون عنصرية وتمييزا عنيفين. فهم نادرا ما ينهون دراستهم بالتعليم العالي ويحصلون على عمل، بل هم معرضون أكثر للسجن. مثل هذه الاعتقالات لا تؤدي فقط بشكل مباشر لتشكيل أو انتشار الجماعات الإرهابية[44]، ولكنها تبعث أيضاً برسالة للمسلمين بأن ذلك كله يدور حول الدين، سواء أرادوا ذلك أم لا. إذا كان الشخص معرضا للسجن أكثر من غيره بسبب معتقده الديني، فالأمر ديني طبعا. بحسب هذا المنظور، قد يكون من السهل فهم أن المسلمين الشباب في فرنسا (وفي مناطق أخرى) معرضون أكثر للاستماع إلى تفسيرات عنيفة للقرآن، وخاصة عندما تصاغ على أنها دفاع عن دينهم الذي يتعرض للهجوم من قبل الغرباء.

للتأكد، لا شيء من ذلك يعذر هذه الأفعال أو يبررها، بل يجعلها أكثر قابلية للفهم، وهذا بالتالي يسمح لنا بشحذ استراتيجياتنا في محاربة داعش. مثلا، ينتج عن هذا التحليل أننا لا يجب أن نفهم داعش باعتبارها جماعة قديمة تحاول استعادة المجد المفقود للإسلام، بدلا من ذلك، فهي حركة حديثة معادية للهجرة يمكن فهمها فقط في سياق الخوف القديم من الإسلام، الذي يتجدد من خلال الخوف الحالي من الإرهابيين المسلمين، والاستعمار الغربي في الشرق الأوسط (الممتد من خلال الوصايات الفرنسية والإنكليزية)، إضافة إلى تغير التحالفات، والحربين الخليجيتين اللتين اقتلعتا مجتمعات بأكملها. عندما ينشأ خوف غير منطقي يعتبر فيه المسلمون كلهم إرهابيون محتملون، إذن أن يكون المرء مسلما يعني أنه مضطهد. عندما يميز الإسلام وحده بشكل روتيني من بين ديانات العالم على أنه دين عنف (خاصة مقارنة باليهودية بالرغم من معاملة إسرائيل للفلسطينيين)، يجب اعتبار الإسلام إذن هدفا للهجوم. قد تنشأ تأويلات مشابهة من خلال الكشف عن عمليات التعذيب في غوانتانامو، أو سجن أبو غريب، والمواقع السوداء للاستخبارات الأمريكية، أو من خلال دعم الأنظمة الجائرة غير المنتخبة (كالعراق تحت صدام حسين، أو سوريا تحت الأسد، في أوقات معينة من التاريخ). وقد لعبت الحروب المدمرة في الشرق الأوسط التي شنتها إدارتا الديمقراطيين والجمهوريين قصيرتا المدى دورها. ولم تقوض سياسة الأرض المحروقة التي أهلكت الفلوجة وهجمات الطائرات بدون طيار على أناس أبرياء والقتل غير القانوني للمدنيين غير المسلحين من قبل الميليشيات أو المؤسسات الأمنية الخاصة فقط أي مفهوم للحرب العادلة، ولكنها أضافت لذلك فكرة المسلم تحت الهجوم. في الحقيقة إن وضع داعش في هذا السياق يساعدنا في تفسير انضمام حتى المسحيين والأكراد لمقاتلي داعش، ولماذا تدفق العديد من المناصرين إلى سوريا من الدول الأوروبية كبريطانيا وفرنسا وبلجيكا إلخ ...

4 على سبيل المثال، قضى أبو بكر البغدادي زعيم داعش خمس سنوات تقريبا معتقلا في معسكر بوكا في جنوب العراق، جنبا إلى جنب مع متطرفين آخرين مثل أبو مسلم التركماني وأبو لؤي وأبو قاسم وأبو جرناس وأبو شيما وأبو سوجا. وقد احتجز هؤلاء المتطرفون جنبا إلى جنب مع أولئك الأقل تطرفا، مما سمح للسجون الأميركية - الائتلافية في العراق بأن تصبح أساسا مراكز تجنيد، بل أرض تدريب لمجندي داعش.

لنكن واضحين، فنحن لا نتغاضى عن أفعال داعش إطلاقا. ومع ذلك، نعتقد أنه من المهم أن نفهم داعش في هذا السياق لكي نشرح إغراءها وقوتها المستمرة. لا تكمن هذه القوة لا تقع فقط في الأعداد الكبيرة لمقاتليها المتفانين، ولكن أيضاً في استمرارية شبكة الأفراد المستعدين لدعم داعش، إيديولوجياً، وسياسياً، واقتصادياً. يجب أن نفهم داعش، باعتبارها ظاهرة حديثة لم تظهر فقط على أيدي أفراد يقرؤون القرآن. بدلاً من ذلك، تحققت بفعل أشخاص يشعرون بأنهم تحت الهجوم، وهكذا قرأوا ضرورة العنف في القرآن والحق فيه. وبعبارة أخرى، بدلاً من جعل ما يسمى الإرهابي الإسلامي موضوعيا من الأفضل لنا أن نفككه، مدركين النسيج المعقد في صناعة الإرهابيين في مواقف وشروط معينة. سيمنحنا هذا الأدوات ليس فقط لمحاربة مقاتلين محددين الواحد تلو الآخر، ولكن سيسمح لنا بتقويض الشروط التي ينبني عليها الإرهاب وتجفيفها. نظن أن تحليلنا يهدف إلى إظهار أن مقاربة محاربة داعش على أرض الواقع يجب التشكيك فيها بسبب الأضرار طويلة الأمد التي تلحقها بالناس والأفكار. وإذا كنا على صواب أكثر من داعش وتخلصنا على الخصوص من جهود الحرب، إذن يبدو أنه من غير المرجح أن تحل عمليات عسكرية أخرى المشكلة. بدلاً من ذلك، وبينما يمكن التغلب على داعش عسكرياً، يبدو أن الكلفة ستكون ببساطة تكوين جديد لجماعات إرهابية أقل قابلية للتنبؤ ستنشأ من رمادها.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018